دراسة تحليلية في الخطاب القرآني
آفاق بيانية وصور بلاغية ودلالات

الدكتور

رضوان جمال الأطرش

الأستاذ المساعد في قسم دراسات القرآن والسنة
الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة
كوالالمبور - ماليزيا

© حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: ٢٠٠٥ـ٢٠٠٦
الطبعة الثانية: ٢٠٠٧ـ٢٠٠٨

لا يسمح بإعادة طبع أو تصوير أيِّ جزء من هذا الكتاب، بأيِّ شكلٍ من الأشكال الإلكترونيَّة، أو الآليَّة بما في ذلك التصوير، أو النسخ، أو التسجيل الصوتي، أو التخزين الإلكتروني إلاّ بموافقة خطيّة مسبقة من المؤلف.

دار التجديد
للطباعة والنشر والترجمة
Kaci Trading Sdn. Bhd.
G B6, Jalan Sungai Pusu,
Central Complex, UIAM Gombak,
51300, Kuala Lumpur, Malaysia
Tel: +603 6186 4071
Fax: +603 6186 4059

المحتويات

المقدمة ٧

الفصل الأول: الخطاب القرآني: تعريفه ووجوهه ومقاصده ١٠

المبحث الأول: الخطاب القرآني تعريفه ١٠

المبحث الثاني: وجوه الخطاب القرآني ١٣

المبحث الثالث: مقاصد الخطاب القرآني ٢٤

الفصل الثاني: لُـغَةُ الخطاب القرآني، وصيغه وأقسام الخطاب، وقدره، ولوازمه ٢٤

المبحث الأول: لغة الخطاب القرآني. ٢٤

المبحث الثاني: صيغ الخطاب وأقسامه ٢٦

المبحث الثالث: قدر الخطاب ولوازمه ٣٩

الفصل الثالث: الخطاب القرآني لسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ. ٤٦

المبحث الأول: الخطاب القرآني لمحمد بوصفه رسولاً ونبياً ٤٧

المبحث الثاني: الخطاب الدعوي. ٥٩

المبحث الثالث: خطاب العتاب. ٧٠

المبحث الرابع: الخطاب التبشيري. ٧٥

الفصل الرابع: الخطاب القرآني للملائكة: ويتضمن: ٨٦

المبحث الأول: الخطاب القرآني للملائكة ٨٧

المبحث الثاني: الخطاب القرآني لإبليس لعنه الله ١١٥

الفصل الخامس : الخطاب القرآني للناس ١٢٣

المبحث الأول: الخطاب القرآني بلفظ "يا أيها الناس" ١٢٤

المبحث الثاني: الخطاب القرآني بلفظ "يا بني آدم" ١٤٩
المبحث الثالث: الخطاب القرآني بلفظ "يا عباد" ١٦٥
المبحث الرابع: الخطاب القرآني بلفظ "الإنسان" ١٧٥

الفصل السادس: خطاب الله للأنبياء من غير محمد ﷺ: ١٨٥
المبحث الأول: خطاب القرآن لنوح عليه السلام ١٨٦
المبحث الثاني: خطاب القرآن لإبراهيم عليه السلام ٢١١

الفصل السابع: خطاب القرآن للمنافقين والكافرين ٢٢٦
المبحث الأول: خطاب القرآن للمنافقين ٢٢٧
المبحث الثاني: خطاب القرآن للكافرين ٢٤٥

الفصل الثامن: خطاب القرآن لأهل الكتاب: ٢٤٦
المبحث الأول: خطاب الله ﷻ لأهل الكتاب. ٢٤٧
المبحث الثاني: خطاب القرآن لليهود ٢٥٤

خاتمة ٢٦٣
قائمة بأسماء المصادر والمراجع ٢٦٥

اللهم صل على حبيبك محمد وآله صلاة أنت تحبها

"اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلُمُّ بها شعثي، وتصلحُ بها غائبي، وترفعُ بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم إني أسألك الفوزَ في القضاء، ونُـزُلَ الشهداء، وعيشَ السعداء، والنصرَ على الأعداء

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

تمهيد

لم تعرف العربية عبر تاريخها الطويل خطاباً أبلغ ولا أرقى ولا أسمى من خطاب القرآن، ولا غرو، فهو كلام الله ﷻ المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. وإذا أردت أن تقف على عظمة القرآن فاشخص ببصرك إلى القوم الذين نزل بساحتهم هذا القرآن لأول أمره، وتليت بين ظهرانيهم آياته، وتوجهت إليهم خطاباته، فلقد كانوا قوماً ذوي بيان وفصاحة، بل كانوا رؤساء صناعة الخطب، ورهبان الشعر، وفرسان الحكمة، ولهذا فقد تحداهم الله ﷻ في مرات كثيرة أن يأتوا بمثل كتابه، أو بأقل سورة منه، فأظهروا العجز كله، وسجل عليهم القرآن عجزهم، وقطع عليهم الطريق في قوله ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1]. بيد أنه وُجد في القوم من لم يستطع كتم إعجابه وانبهاره بأسلوب القرآن، ومن هذا ما جاء عن الوليد بن المغيرة أحد صناديد قريش، وكان قد استمع إلى النبي ﷺ وهو يتلو شيئاً من القرآن، فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى.

[1] سورة الإسراء: ٨٨.

الحمد لله صاحب الفضل والمنّ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلن تستطيع قوة أرضية إضلاله، ومن يضلل الله فلا وسيلة لإهدائه، والصلاة والسلام على رسول الله، أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وعلى أصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم البعث والدين، القائل "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1]، أما بعد،

فهذه قراءة تحليلية تغوص في ثنايا الخطاب القرآني، تحاول أن تجد طريقها إلى مقاصد القرآن، من خلال الوقوف عند ألفاظه ومعانيه ودلالاته، وسمات بلاغته وإعجازه الذي لا ينتهي بزمن، كيف لا وهو الكتاب الذي أحكم الله آياته كلها فلا اختلاف في معانيه ولا اضطراب في مفاهيمه ومقاصده. إنه خطاب يفيض بالحيوية والحركة، تنزيل من حكيم حميد.

إنها دراسة كان سببها حبي لكتاب الله الذي دعانا إلى التأمل بدلالاته بقوله: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[2]، ومن ثم التعرف على قوته البلاغية وأسراره في التأثير في نفسية المخاطب، والتي من شأنها أن تجعل السامع يخر للأذقان ساجداً خاشعاً، بما تملكه روحه من مشاعر الخشوع والامتثال الكامل، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]. هذا الخطاب فهم النفس الإنسانية في أبعادها الفطرية والحسية والوجدانية، وفهمها كذلك من خلال أبعادها العقلية والمنطقية، فهو خطاب استطاع أن يجمع بين العقل والعاطفة في علاقة تفاهمية متضافرة في ائتلاف حكيم. وفي تصوري أن التدبر في خطاب القرآن يكون من وجهين: "الأول: أن يتأمل القارئ في دلالات تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، والثاني: تأمل دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله"[4].

[1] رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

[2] النساء: ٨٢.

[3] الحشر: ٢١.

[4] سماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ج٤، ص:٢٠٠.